اللـــه

"اللـــــــه" ، أعز وأجل وأسمى لفظ فى الوجود ، أعذب ما سمعت الأذن ، وأجمل ما رأت العين ، وأحلى ما نطق اللسان ، وخير ما سكن الفؤاد ، ومفخرة الخط والقلم ، وخير ما يُنير العقل والصحف ويبهج الوجدان ، نور السماوات والأرض. العزيز الحكيم أبدع خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق ، سبحانه وتعالى ، ربّ الحكمة ، يتصرف فى ملكه بالعدل ، ويمن على عباده بالفضل. الله الذى تتنافس فى السجود لعظمته عقول أولى الأبصار ، وتتعلق ببيوته قلوب المقربين والأخيار ، وتسكن فى سعة رحمته نفوس الأبرار.

بالإخبار الصادق ، وبالعقل الفائق المستنير بالبرهان المبين ، وبالنقل الأمين ، **الله خالق كل شيء** ، والعقل شيء ، ولا يليق أن نتكلم عن شيء قبل أن نشير إلى سيده وخالقه ونمجده ونثنى عليه بما نستطيع. وإنه ليتعذر أن نتوصل إلى تصور صحيح عن الإنسان (أو عقله) معزولا عن خالقة ، فلا يمكن فهم العقل بدون معرفة خالقه. ومن الحماقة ألا يستعان بقدرة القدير وعلم العليم ، أو الزهد فيما لا يمكن الاستغناء عنه. ولكن للأسف نرى أكثر الناس يتجاهلون تلك الفائدة العقلية ، إما عمدا وعنادا وإما غفلة أو جهلا. إن محاولة تغييب الله عن الفكر تؤدى للوصول إلى لا شيء ، وتنفى أصل كل الحقائق فلا يبقى للعقل

أصل فكرى صحيح يتعامل معه ، ومن لا يعرف الله فليس له فى المعرفة نصيب ؛ فهو - جل شأنه - **الحق** وإليه تنسب الحقيقة العظمى التى أوجدت وتحكم ما دونها من حقائق وتتصرف فيها. من الله البداية وإليه النهاية ، ولا وجود لشيء بدون مشيئته - عز وجل - وهو المستعان والملجأ والملاذ.

لقد علمنا ربنا كيف نبدأ وكيف نسير ، ولكن من يعقل قليل! لقد بدأ كتابه الكريم بالإشارة إلى جلال ألوهيته مع فيض رحمته: ﴿ **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ ، وفيها استعانة وبركة. يلى ذلك الثناء المطلق على ذاته المقدسة ولطف ربوبيته لكل العالمين ، مع سعة رحمته : ﴿**الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ....﴾ مطلع سورة الفاتحة. إذن فذكر الخلاق المنعم الكريم الوهاب وتمجيده يعتبر بداية تبصيرية لازمة ؛ لتهيئة العقل لحسن التعامل المشروع الآمن مع مفردات وجزئيات الكون الذى لا ندرك منه إلا ما يأذن به مالكه - جل شأنه. وقد علمنا البشير - صلى الله عليه وسلم - وجوب ذكر الخالق قبل البدء فى أى عمل ، وهذا أدب استئذان ، وطلب عون وأمان ، وواجب فى كل حين وآن ، وأوجب ما يكون فى موازين العقلاء ، حتى الذين لم يدخلوا فى دين الله بعد ، ونسأل الله ألا يقبضهم إلا وقد مَنّ عليهم بفضله وشرح قلوبهم بالنور المبين وأذاقهم حلاوة الإيمان وسكينة الرضوان.

وإذ نعجز عن التعبير ثناء عليه – سبحانه وتعالى – بما هو أهله ، فبالعقل الذى هيأه لنا نذكر ونُذكِّر ببعض الأسماء التى تشير إلى عناوين صفات الجلال والكمال مبللة بدموع الذوبان فى شرف الذكر والفرح. إنه سبحانه وتعالى **ليس كمثله شيء ، واحد أحد ، له الأسماء الحسنى ، فعال لما يريد** .... وإلى أبعد مما نستطيع أن نعدد ونتصور من صفات الجلال الكمال ، وما تصورنا إلا خطوة تحسس مرتعشة ترنو إلى سماوات عالم العزة الجلال. وعجز الكلمات عن صياغة التعبيرات التى تليق بعظمته – سبحانه وتعالى – هو الذى يحبس المشاعر فى الصدر خشية أن تكون إحدى الكلمات التى ينطقها اللسان أدنى مما يليق فيعد ذلك من سَوء الأدب ، ولذلك يبدو الإيجاز أسلم ، والدمع أرجى وأصدق.

ومبلغ العقل المبصر هو الدلالة على كيفية التوجه نحو نور السماوات والأرض ، نحو الله ؛ فالعقل شيء محدود ، أما الله فهو صاحب المشيئة التى توجد الأشياء وتهديها. ولا نحسب أن حسن التوجه إلى الله يتيسر قبل صفاء الفكر وتخلصه من العلائق والأباطيل ، هذا شرط. ويقال إن من علامات صحة الاقتراب من رحاب رحمته وإشراقات نوره: قشعريرة الجلد ، وخشوع القلب ، وفيض الدمع ، وخفة الجسد – لتضاؤل المادة وتلاشى الشعور بها – وتحليق الروح ، وتجلى الحق. كل ذلك يفيض لا إراديا بعد تفكر وتسليم ، وهذه لحظات غير موقوتة، فى هذه الدنيا – عادة – كطبيعة السعادة الغامرة تشتهيها النفس ولا تملكها ، ولا تدوم إلا قليلا، وما أهنأ من يمتد بقاؤه فيها. ويصور الخلاق العليم نوعية

السعادة الدائمة قائلا: ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ – الآية 102 – سورة الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هذا وأقاوم ما فى النفس من شوق لمواصلة تسجيل ذكر بارئها ، وما فى العقل من ميل لمواصلة الكتابة عن خالقه ثناء وشكرا لولا خشية زلة القلم ، ثم حرصا على ألا يتصور بعض القراء أن المؤلف يخرج عن موضوع الكتاب. وسلواى أن أردد قول المسيح – عليه وعلى أمه الطاهرة أفضل الصلاة والسلام – قائلا سبحانك : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ولآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ الآية 116 – سورة المائدة